

أثر 'ألف ليلة وليلة' على قصص 'الكلام رأسمال' للحاج أبوبكر إمام: قصة قمر الزمان بن شهر الزمان نموذجاً

د. كبير أبوبكر أمين

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زارياً-نيجيريا

kaabubakar@abu.edu.ng

+234 806 221 6364

ملخص المقال

يعتبر الروائي النيجيري الحاج أبوبكر إمام (١٩١١م-١٩٨١م) فناً عبقرياً وأحد الأفياد في ساحة الأدب الهوسوي. وقد استطاع أن يؤلف عديداً من القصص والحكايات الماتعة والتي غدت تدل بأصالتها الأدبية على ما لصاحبها من سعة الخيال وغازة المادة. ولعل مجموعة حكايات 'الكلام رأسمال' تتصدر قائمة أعماله الأكثر رواجاً. فقد أعجب بما النقاد واعتبرت طرازاً ممتازاً ورمزاً حقيقياً وأصيلاً للأدب الهوسوي، فاحتفل بها وتم تحويلها إلى صور فنية أخرى بما في ذلك المسلسلات والأفلام السينمائية. وقد كان هناك أدلة تثبت أن الرجل قد تأثر بقصص 'الليالي العربية'، فقد اقتبس منها قصصاً كما قلد أسلوب 'الليالي' في استخدام قصة الإطار وتسلسل الحكايات وفي الاعتماد على الغرائب والخوارق كالجن والعفاريت والحيوان وغير ذلك. ويتضح لمن تأمل النظر في هذه المجموعة أن

صاحبها نجاح في عملية 'هُوسَنَة' عديد من القصص التي أخذها من 'الليالي' وإخراجها نصبغة جديدة عدل من خلالها كل ما ليس بهوسوي من أسماء الأشخاص والأماكن والأزياء والتقاليد لتلائم عادات الهوسويين ورؤيتهم للحياة، فخلق بذلك ما يمكن أن يعتبر نموذجاً محلياً لهذا العمل الأدبي العالمي. وتبرز قصة 'قمر الزمان' بصورة استثنائية بين سائر القصص المأخوذة من 'الليالي' حيث تركها الكاتب كما هي في الأصل دون أن يُهَوِّسَهَا خلافاً لما فعل مع غيرها من القصص. وهنا تطرح أسئلة البحث نفسها. لماذا لم يغير الكاتب من هذه القصة أسماء الأشخاص والبلاد؟ هل تركها كما هي لتدل على مصدره؟ أم إنه أخفق في التغيير؟ ولماذا قدم وأخر في بعض الأحيان؟ ولماذا حذف بعض التفاصيل؟ على أي أساس اقتبس؟. هذا المقال يسعى إلى الإجابة عن هذه التساؤلات عن طريق استقراء النصوص المعنية بالدراسة ومقارنة بعضها ببعض.

أولاً: مدخل

'ألف ليلة وليلة' عبارة عن مجموعة ضخمة من قصص وحكايات متنوعة تزيد عن مائتي قصة وخرافة وحكاية شعبية متداخلة ومتخللة بأشعار ومقطوعات تحكيها الجارية شهرزاد في لغة تتميز بالمزج بين الفصحى والعامية خلال ليالٍ متتالية. وتحتوي القصص على عجائب ونوادر وخوارق ذات جاذبية دائمة للعقول (بموسى، ٢٠١٤م: ١). وهي ملتقطة من أصول ثقافات متباينة؛ العربية والفارسية والهندية وغيرها من أصول ضاعت وتلاشت مع تقلب الليل والنهار (العمد، ٢٠٠٨م: ٥٢٢).

ولقد أثبتت قصص 'الليالي العربية' سحرها الفني على الآداب العالمية على امتداد قرون طويلة من حضارة الإنسان كما غدت متلائمة مع كل أدب وعصر على مر العصور وعبر أنحاء الأرض ومع تغير الأوضاع وتطور النظريات، ويتم لها (أي

الليالي) كل ذلك بصورة تجعل منها عملا أدبيا صامدا ظل في صدارة الأعمال العالمية الكبيرة والأكثر شعبية على مر العصور وعبر غير قليل من ميادين الإبداع من شعر وقصة ومسرحية وهلم جرا.

وبناء على ما سبق لقيت 'الليالي' اهتماما وتقديرا زائدين على العادة من قبل المعنيين بالآداب؛ فدونت وطبعت وترجمت إلى عشرات اللغات بقدر ما تمت دراستها وتحليلها من قبل جميع فئات المهتمين بالدراسة في الفنون والآداب وسائر العلوم الإنسانية (سيتي، ٢٠٠٩م: ٦٨).

ثانيا: مؤلف 'الكلام رأسمال' في سطور (١٩٠١م-١٩٨١م)

اسمه الحاج أبوبكر إمام، من مواليد سنة ١٩٠١م، في بلدة كَغْرَا بولاية نيجر في وسط شمالي نيجيريا، تخرج في المدرسة الأولى بمدينة كَاتْشِينَا بشمال غربي نيجيريا سنة ١٩٢٦م، وفي كلية تدريب المعلمين سنة ١٩٣٢م في المدينة نفسها. ثم عمل مدرسا في المدرسة الوسطى، ثم عين ليعمل كرئيس تحرير ليومية 'الصدق أفضل من الفلس' Gaskiya ta fi Kobo؛ فهو أول رئيس تحرير لأول صحيفة يومية باللغة الهوسية في شمال نيجيريا (حجازي، ٢٠٠٠م: ١٢)، وُتِّمَّت اتصال بالمدير الفني لمكتب الأدب التابع لحكومة بريطانية الاستعمارية وهو السيد ر. م. إست فتدرب عليه في صناعة التحرير والتأليف (المرجع السابق). ثم شارك في مسابقة كتابة الروايات والقصص للمرة الأولى ففاز بالصدارة. ثم انتدب ليعمل في إنشاء كتب محلية تعليمية فأسهم في أدب اللغة

الهوسية مساهمة فعالة عن طريق كتبه وأدبياته، وله خمسة عشر مؤلفات (كبير، ٢٠١١م: ٢١). والتي منها:

رقم	عنوان الكتاب	ترجمة عربية	نوع الكتاب
١	Tarihin Annabi Muhammadu	تاريخ النبي محمد	ديني
٢	Karamin Sani	العلم الناشئ	رواية
٣	Ikon Allah	قدر الله	ثقافي
٤	Ruwan Bagaja	الماء الشافي	رواية
٥	Tafiya Mabudin Ilimi	السفر مفتاح العلم	ديني

وفي الجملة، إن مؤلف 'الكلام رأسمال' ظل نجمه يخلق في ساحة الأدب النيجيري منذ أن ظهر عمله الأدبي الأول 'الماء الشافي' (Ruwan Bagaja) بقوة (جحازي، ٢٠٠٠م: ١٢) واستمرت شعبيته تزداد رونقا مدى حياته الأدبية وبعد مماته بفضل امتياز أعماله وأصالتها، الأمر الذي مكنه لأن يكون اسمه في قائمة أساطير الأدب الهوسوي.

ثالثا: الكلام رأسمال

مجموعة قصص وحكايات تربو على تسعين قصة وحكاية مرلفة في ثلاثة أجزاء صغيرة يحكيها المؤلف على لسان البيغاء تحتوي على أخبار طريفة ومواعظ وعبر وأخلاقيات وغرائب وغير ذلك، ألفها الحاج أبوبكر أمام على غرار ألف ليلة وليلة من حيث قصة الإطار وتداخل القصص وترويح الخوارق والإخبار عن الدواب والعفاريت والجن وما إلى ذلك.

ويعود تاريخ تألف هذه المجموعة إلى طلب رسمي وجه إلى الحاج أبو بكر إمام من مكتب التربية للمشاركة في مشروع تأليف الكتب المدرسية بعد بروز قدرته على تأليف القصص حينما فاز بالرتبة الأولى في مسابقة كتابة الروايات والقصص الأولى بكتابه المعنون بـ'الماء الشافي' (Ruwan Bagaja) فقدم إلى زارياً من كاتشينا ومكث لمدة ستة أشهر ألف خلالها الأجزاء الثلاثة تحت إشراف المدير الفني للمكتب السيد ر. م. إست، والذي بدوره وقر له عدیدا من كتب القصص الكبيرة في اللغتين العربية والإنجليزية ليستعين بها في عمله (مورا، ١٩٨٥: ٢٠). وقد نُشر 'الكلام رأسمال' لأول مرة من شركة شمال نيجيريا للنشر، فصدر الجزء الأول سنة ١٩٣٢م والجزءان الثاني والثالث سنة ١٩٣٨م) (حجازي، ٢٠٠٠م: ١٣؛ مملفاشي، ٢٠٠٩م: ٢٠).

وتدور قصة إطار 'الكلام رأسمال' حول أخبار ملك غني عقيم خائف من ضياع سلطانه إذا هو مات دون أن يخلف عقباً، ثم رزق ولداً بعد تقدم العمر ونفاد الأمل. ثم تلى ذلك شراء ولي عهده ببغاء باهز الثمن غداً أعجوبة لفطنته وقدرته الزائدة على العادة في قصص الأخبار وعلى التكهن ولعلمه بالتنجيم الأمر الذي كان سبب نجاح الأمير موسى من مكاييد متتالية قام بها وزير أبيه بعد خروج الملك عبد الرحمن في حملة حربية.

ثم إن الملك عين الببغاء وزيراً في بلاطه! فصدم بذلك أصدقاءه من الملوك وقامت وراجعهم بعضهم في ذلك. فأصر على موقفه، وانتهى الأمر بعقد مسابقة قصصية بين الوزير الببغاء وبيغاء آخر اسمه حازق يملكه ملك آخر من أصدقاء مولى

الوزير البغاء الذي كان له الغلبة في المسابقة، وذلك في نهاية الجزء الثاني. أما الجزء الثالث فعبارة عن قصص يحكيها الوزير لابنه 'فصيح' تربية وتجهيزا لتحديات الحياة. (إمام، ١٩٣٨م: ٣).

وقد اعتُرف بـ'الكلام رأسمال' كإنتاج أدبي ضخم وكتاب أسطوري وعمل فني أنجز بكل براعة منذ أن صدر. ومن الواضح أن المؤلف تأثر فيه بعدد من كتب الأدب العربي القديم، وعلى رأس ذلك كتابي 'ألف ليلة وليلة' و'كليلة ودمنة' (ملمفاش، ٢٠٠٩م: ١٩؛ الصارم، ٢٠١٢م: ١٨٦).

رابعا: قصة قمر الزمان بن شهر الزمن

إحدى قصص 'ألف ليلة وليلة' الطويلة والملئية بالعجائب الغربية والمغامرات الخطيرة والخيالات العميقة. وتبدأ قصة شهر الزمن بن قمر الزمن من الليلة السبعين بعد المائة إلى الليلة السابعة والثلاثين بعد المائتين، وهذا يعني أن القصة تم روايتها خلال سبعة وستين ليلة (ألف ليلة وليلة: ص: ج ١، ٤٦٧-٢، ج ٢، ٧٨). وتحكي القصة حياة ملك قد تقدم في العمر ولم ينجب إلا متأخيرا جدا. ومن ثم تستمر القصة وبطلها المولود؛ الأمير قمر الزمان بن شهر الزمان؛ ذلك الأمير المدلل والفتى الجميل الذي لم يكن له مثيل في جماله وذكائه علمه وفروسيته. ذلك الأمير الذي امتنع عن الزواج مع إلحاح بالغ من أبيه الملك شهر الزمان حتى أفضى الأمر بسجنه وإقاعده في قصر محجورا على هامش المدينة.

وعلى الطرف الآخر، قصة السيدة الأميرة بدور بنت الملك صاحب الجزائر التي كانت -هي الأخرى- ذات جمال يعجز اللسان عن وصف حقيقته. ثم ما جرى من مصادفة عجيبة حاصلها أن أميرة جنية اسمها منمونة بنت الدمرياط اطلعت على قمر الزمان فتعجبت من حسنه كما اطلع أحد خدمها يقال له دهنش على الأميرة بدور وإذهل عقله من جمالها. ثم إن العفرتين اختلفا في أي الشخصين أجمل من الآخر وتحكما إلى جني آخر الذي حكم بنقل الفتاة إلى سرير قمر الزمان وايقاظ كل منهما على حدة ليعرفوا من يفتتن بالآخر فيكون هو الأقل جمالا.

ومن هنا بدأت قصة حب وغرام غريبة أفضت بكليهما إلى الهيام والتهيه بعد أن شاهد كل واحد منهما الآخر وهو لا يشعر، وبعد أن أعيدت الفتاة إلى قصرها. واستمرت قصة في تسلسل غير متناه من العجائب والمغامرات التي انتهت بالزواج بين الأميرين وبيعة قمر الزمان ملكا على مملكة أبيه بعد أن ملك غيرها وتزوج بابنة ملك آخر. وهكذا انتهت القصة بعد جولة طويلة وأحداث غريبة غير متناهية تقريبا.

خامسا: المناقشة

ليس من العسير على الناظر في كتاب 'الكلام رأسمال' أن يلاحظ أمارات صلته بالأدب العربي وتأثر مؤلفه بأخبار وقصص من أصول عربية. فزيادة على كون المؤلف قد اعترف بانتفاعه بكتب عربية، هناك تكالب الأدلة على وجود نكهة الثقافة العربية في حكايات الكتاب. وتأتي قصة قمر الزمان في صدارة ترتيب قصص 'الكلام رأسمال' التي يظهر أمرها بكونها من أصول عربية.

فالمؤلف لم يغير أسماء الشخصيات والأماكن في هذه القصة، خلافا لعادته في غير ما قصة مأخوذة من 'ألف ليلة وليلة' حيث كان يغير أسماء الشخصيات والبلدان والقبائل وهلم جرا، يغيرها إلى ما هو الشائع في تقاليد قومه الهوساويين وبلده شمال نيجيريا وعصره القرن العشرين الميلادي.

أما في هذه القصة فقد ترك أسماء الشخصيات وغير ذلك من الأعيان كما هي، فقرر الزمن والأميرتن بدور وحياة النفسو والجنية ميمونة وبلاد الصين والجزائر كلها أسماؤ بقيت في القصة من كتاب 'الكلام رأسمال' كما هي في 'الليالي'.

وجدير بالذكر أن المؤلف غير اسم العفريت "دهنشا" تغييرا طفيفا فسماه "دنهش" (Danhash) حيث قدم حرفا (النون) وآخر آخر (الهاء) ثم حذف ألف المد المتطرفة. وعلة ذلك أن المؤلف لاحظ ثقل لفظ 'دهنشا' على لسان القارئ الهوسوي فاضطر لذلك إلى أن يجعله سهلا فعديل إلى هذا التعديل الذي يظل معه الاسم مشيرا إلى أصله. بل، إنه قد أفصح عن مرجع القصة في نهاية المطاف (إمام، ١٩٣٨م: ١٦٦). ومن هذا القبيل شخصية أخ الأميرة بدور الذي دل على معشوقها إلى رجل تاجر.

ولسائل أن يسأل عن سبب امتياز قصة قمر الزمان عنده بهكذا الأسلوب خصوصا إذا تم الاعتراف على الأسلوب السائد في غير ما قصة من القصص التي تأثر فيها بقصص 'الليالي'. ولعله أراد بأسلوبه هذا تفخيم طبيعة الاستغراب التي تتصم بها القصة، والتظاهر بالعالمية في حكاياته ولكي لا تبدو قصصه محلية. أو أنه أراد أن

يعطلع القارئ الهوساوي المثقف بالثقافة العربية على شيء من مصادر قصصه وليس لأنه أخفق في تهويس هذه المفردات.

ومن المعروف أن القصة في 'الليالي' تحكيها شهرزاد لمولها الملك شهريار. وأما في 'الكلام رأسمال' فالقصة من حكاية ببغاء يدعى 'حازق' في مسابقة قصصية جرت بينه وبين الوزير الببغاء. ولأن المؤلف كان قد قرر أن تكون الكفة الراجحة في المسابقة لصالح الوزير الببغاء ترك هذه الأسماء كما هي ليدل على أنه ليس لأخبار 'حازق' أصالة، بل إن المؤلف تخطى ذلك فأفصح -عن طريق الوزير الببغاء- عن كون القصة مأخوذة من 'ألف ليلة وليلة' (إمام، ١٩٣٨م: ١٦٦) وذلك في نهاية القصة حيث جرت محاورة بين الببغائين انتهت بفضيحة 'حازق'. وهذه هي العلة الأولى التي دعت المؤلف إلى عدم 'تهويس' قصة قمر الزمان.

ثم إنه اختصر القصة اختصارا بالغا من خلال حذفه أشياء كثيرة كان يراها حشوا، غالبها تفاصيل وأوصاف الشخصيات والأماكن واستطرادات وارتجاء فني. كما حذف جميع القصائد الواردة في القصة؛ تلك الأشعار التي تخللت الحكاية والتي يتناوب على إنشادها أبطال القصة في مناسبات متتالية. وهي مائتان وست وأربعون بيتا. ويظهر للباحث أن المؤلف حذفها خوفا من صعوبة ترجمة الأشعار وخشية من ذوبان فنيها في الترجمة، ولما يحتفل به المؤلف من الجنوح إلى اختصار أحداث القصص والحكايات. فقد عمل بكل جدية ونجاح على تهذيب القصة واختصارها، ومن ذلك

اختصاره لكثير من تفاصيل الحوارات بين أبطال القصة وأهماله بعض المشاهد إهمالا
كليا.

وكذلك استغنى المؤلف عن جانب القصة الذي يحكي أحداث حياة الأميرين
أمجد وأسد؛ ولدي الملك قمر الزمان، أو بعبارة أدق فصل حكايتها عن قصة آبائهم
(إمام، ١٩٣٨م: ١٥٠). ومهما يكن من شيء، فإن المؤلف استطاع من خلال ما
قام به من الاختصار أن يحكي القصة في أقل من عشرين صفحة علما بأنها كانت في
’الليالي‘ تستغرق ثمانين صفحة أو تزيد. فهذا يدل على براعته في غرلة القصة
وتهدئتها في أقل من ربع الأصل مع بقاء الأفكار الأساسية بصورة لا تجعل من القارئ
الموساوي أقل استيعابا لمحتوى القصة من قارئ الأصل العربي. ويزداد إعجاب الباحث
بنجاح المؤلف في هذا السدد حينما يجعل طبيعة الكتابة باللغتين في الاعتبار؛ فالعربية
اقصد والموسوية أسرف في استغراق الأوراق.

وأما ما قام به المؤلف من بالتقديم والتأخير في تسلسل أحداث القصة فإنه من
لوازم طبيعة عمله القائم على محالة نقل إنتاج من ثقافة إلى أخرى، فإذا كان مجرد
الترجمة تستلزم التقديم والتأخير فبالأحرى أن يكون هذا النقل داعيا إلى ذلك، ومع كل
هذا فإن الباحث يرى أن المؤلف قدم وأخر بصورة أعمق من مجرد التحكم الضروري.
وهذا يعني أنه لم يكن ينوي الترجمة وإنما كان يريد أن يجعل من عمله جسرا بين ثقافة
النقل وثقافة الهدف. وإذا اعتبر أن العمل ظهر بصورة جديدة ولائقة ببيئة المؤلف فلا
مانع من الحكم بأنه قد نجح في ما يسعى إليه.

سادسا: الخاتمة

وفي الجملة، يتخلص هذا البحث إلى القول بأن الحاج أبوبكر إمام -على الرغم من اتصاله بترجمة 'ألف ليلة وليلة' الإنجليزية- نقل قصة قمر الزمن من أصلها العربي، وقد ذهب مذهبا أكثر خيالا حين استخدم البيغاء كصاحب قصة الإطار بدلا من شهرزاد. ولأن المؤلف أراد أن يعمل نموذجا محليا لعمل أدبي عالمي، ولذلك غير الأسماء لتكون محلية وأبقى القصص في جوهرها ليتقي على الصلة بين الأصل والفرع.

سابعا: قائمة المراجع

ألف ليلة وليلة، (٢٠٠٩م)، الطبعة الثالثة، دار المعارف، بيروت

إمام، الحاج أبوبكر، (١٩٣٨م)، الكلام رأسمال، شركة شمال نيجيريا للنشر، زاريا

إمام، الحاج أبوبكر، (٢٠٠٠م)، الكلام رأسمال، ترجمة الدكتور مصطفى حجازي

السيد، المؤسسة الأعلى للثقافة، القاهرة

بموسى، عبد القادر شريف، (٢٠١٤م)، قراءة جديدة: الاغتراب والرمز في حكايات

ألف ليلة وليلة

سيدي، هاله حسن، (٢٠٠٩)، "أثر حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيات فلاح

شاكر: ليلة من ألف ليلة وليلة أنموذجا"، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ٨

(١٥): ٦٨

الصارم، عبد الكريم عيسى، (٢٠١٢)، "أصول الثقافة الإسلامية في أدب الهوسا:

أعمال الحاج أبي بكر إمام القصصية نموذجاً" مجلة اللسان، جمعية مدرسي اللغة

العربية وآدابها بنيجيريا، ٢(٥): ١٧٩-١٩٦

العمد، هاني، (٢٠٠٨م)، "خطاب الجنس في كتاب ألف ليلة وليلة"، دراسات العلوم

الإنسانية والاجتماعية، ٣٥(٣): ٥٢٢-٥٣٧

كبير، آدمة عمر، (٢٠١١م)، الأمثال الهوسوية المترجمة في 'الكلام رأسمال': دراسة

تحليلية تقويمية، رسالة الماجستير غير منشورة، قسم اللغات النيجيرية والأفريقية،

جامعة أحمد بلو، زاريا، نيجيريا

ملمفاشي، إبراهيم، (٢٠٠٩م)، أدب أبوبكر إمام، جامعة عثمان بن فودي، صوكوتو،

نيجيريا